العدد ٢٠٠٢/١٥
الأحد ١٤ نيسان
الأحد الرابع من الصوم
أحد القديس يوحنا السلّمي
تذكار الرسل ارسترخوس وبوذس وتروفيمُس
اللحن الرابع
إنجيل السَحَر الأول

الرسالة

(عبرانيين ٦: ١٣–٢٠)

يا إخوةُ إنَّ اللهَ لمَّا وعدَ إبرهيمَ إذ لم يُمكِنْ أن يُقسِمَ بما هو أعظَمُ منهُ أقسمَ بنفسِهِ* قائلاً لأُباركنَّكَ بركةً وأُكثِرنَّكَ تكثيرًا* وذاكَ إذ تأنَّى نالَ الموعِدَ* وإنَّما الناسُ يُقسِمونَ بما هو أعظَمُ منهم وتنقضي كلُّ مشاجرةٍ بينهم بالقَسَمِ للتثبيت* فلذلك لمَّا شاءَ اللهُ أن يَزيدَ وَرَثة الموعدِ بيانًا لعَدَمِ تحوُّلِ عزمِهِ توسَّط بالقَسَمِ* حتى نحصُلَ بأمرَيْنِ لا يتحوَّلان ولا يمكنُ أن يُخلِفَ اللهُ فيهما على تعزيةٍ قويَّةٍ، نحنُ الذينَ التجأنا إلى التمسُّكِ بالرجاءِ الموضوعِ أمامنا* الذي هو لنا كمِرساةٍ للنفسِ أمينةٍ راسِخَةٍ تدخلُ إلى داخلِ الحجابِ* حيثُ دخلَ يسوعُ كسابقٍ لنا وقد صارَ على رتبةِ ملكيصادقَ رئيسَ كهنةٍ إلى الأبد.

الإنجيل

(مرقس ٩: ١٧–٣١)

في ذلك الزمانِ دنا إلى يسوعَ إنسانٌ وسجدَ لهُ قائلاً

طرد الروح الأبكم

في الأحد الرابع من الصوم، أحد القديس يوحنا السلمي، تقرأ الكنيسة المقدّسة نصًّا من إنجيل مرقس يتألّف من مشهدين: الأول يروي طرد روح أبكم من أحد الصبية على يدي يسوع، والثاني يسرد حوارًا بين يسوع وتلاميذه. ولئن كنّا نعثر على رواية طرد الروح من الصبي في كل من إنجيلي متى (١٧:١٤–٢١) ولوقا (٩:٣٧–٤٢) أيضًا، إلاّ أنّ مرقس يتفرّد في وصف عوارض مرض الصبي المسكون بالروح الشرّير وفي سرد تفاصيل الحوار الذي دار بين السيّد ووالد الصبي. حيال الاسترسال في وصف العوارض، يشير الإنجيلي إلى أنّ الروح، ما إن رأى يسوع، حتّى راح يتصرّف في شكل عنيف ويعذّب الصبي. هذا سببه شعور الروح الشرير بأنّه بات الآن في مواجهة من هو أقوى منه ومن هو قادر على قهره. أما إمعان الإنجيلي في وصف دقائق مرض الصبي فغايته رغبة مرقس في إظهار مدى عظم الشفاء الذي سيقوم به المخلّص، ولا سيّما أنّ تلاميذه كانوا قد عجزوا عن إخراج الروح.

ما معنى عدم تمكّن التلاميذ من طرد الروح؟ من المعروف، في زمن يسوع، أنّ سلطان التلاميذ كان من سلطان المعلّم، بحيث أنّه إذا عجز التلاميذ عن القيام بأمر ما، فهذا قد يؤدّي إلى التشكيك في قدرة المعلّم.هذا يفسّر، طبعًا، شيئًا من شكّ الأب عندما يتوجّه إلى يسوع للمرة الثانية على التوالي قائلاً له: «إن استطعت شيئًا» (مر٩:٢٢).

بيد أنّ يسوع،كما في غالبيّة الأحيان، لا يريد أن يتوقّف عند الشفاء في ذاته. فهذا يجب أن يكون تعبيرًا عن حالة وجدانية أعمق، هي حالة الإيمان.هذا الانتقال إلى مستوى الإيمان يقوم به يسوع عبر استخدام فعل «استطاع» الذي استعمله والد الصبي في طلبه معلنًا أنّ كلّ شيء «مستطاع» للمؤمن. ولكنّنا في نص آخر من إنجيل مرقس نقرأ أنّ «كلّ شيء مستطاع لدى الله» (١٠:٢٧). ألسنا هنا أمام تناقض؟ لا شكّ في أنّ القدرة على القيام بكلّ شيء تقع في دائرة سلطان الله دون سواه. غير أنّ يسوع يؤكّد هنا أنّ هذا السلطان، الذي هو في الأصل من اختصاص الله وحده إذا جاز التعبير، يعطيه الله

للإنسان إذا كان هذا مؤمنًا.في حال الإيمان يعمل الإنسان، إذًا، بقوة الله وسلطانه. إذ ذاك هو قادر على الإتيان بأمور تستحيل على البشر في العادة.غاية يسوع هي أن يعي والد الصبي أنّ طرد الروح الشرير من ابنه ليس الكلمة الأخيرة في علاقته بالله، بل ثمّة ما هو أهمّ من ذلك وأعمق: الإيمان الذي يجعل كلّ شفاءٍ ممكنًا.

ما هي ردّة فعل والد الصبي بإزاء هذا البعد الجديد الذي يكشفه له يسوع بكلماته؟ هو يجيب بعبارةٍ غريبةٍ لأنّها تبدو، للوهلة الأولى، متناقضة: «أؤمن يا سيّد،فأغث عدم إيماني» (٩:٢٤). كيف يمكن أن يكون والد الصبي مؤمنًا وغير مؤمن في الوقت عينه؟ كلام الأبِ يدلّ على أنّ إيمان المرء ليس حالةً جامدة لا تتغيّر، بل هو، في معظم الأحيان، في صعود وهبوط. أليس هذا حال كلّ واحدٍ منّا أو معظمنا؟نحن،في غالبية الأحيان، نتقلّب بين الإيمان وعدم الإيمان. نؤمن، مثلاً، إذا كنّا في الكنيسة أو عندما يعزّينا الله في شركة الاخوة أو متى وقع علينا مصاب جلل. بيد أنّنا في كلّ مرةٍ نركن إلى قوّتنا وسلطاننا ومالنا والأنا فينا نظهر غير مؤمنين. هذا التقلّب ليس غريبًا عن المشاكل التي يلفت الإنجيل إليها.فيسوع نفسه كان يرى لدى تلاميذه تقلّبًا وضعف إيمان. وهو غالبًا ما كان يوبّخهم على قلّة إيمانهم (مر٤:٤٠)، جادًّا في تدريبهم على تجاوز هذا الضعف إلى إيمانٍ ثابت.

المشهد الثاني في القراءة الإنجيلية يظهر السيّد منفردًا مع تلاميذه في بيت يعلّمهم ويكشف لهم معنى طرد الشيطان الذي قام به. ليس مستبعدًا أن يكون ذكر البيت إشارةً غير مباشرة إلى اجتماعات المسيحيين في القرن الميلاديّ الأول. فهؤلاء غالبًا ما كانوا يجتمعون في بيوت بهدف الصلاة وكسر الخبز والتزوّد بكلمة الله وتدارسها، والأرجح أنّ هذا كان ينطبق أيضًا على الكنيسة التي وجّه إليها مرقس إنجيله. هذا المقطع، إذًا، ذو مدلول بالنسبة إلى قرّاء الإنجيل الأصليين وقرّائه اليوم.

«هذا الجنس لا يمكن أن يخرج بشيء إلاّ بالصلاة والصوم» (٩:٢٩). ليس من باب الصدفة أن ترتّب الكنيسة المقدّسة قراءة هذا المقطع الإنجيلي في الأحد الرابع من الصوم. أوّل ما يتبادر إلى ذهننا، في هذا الإطار، هو ارتباط الصوم بالصلاة. فالصوم، على أهميّته، ليس هدفًا في ذاته، بل إنّ أحد أهدافه هو جعلنا أكثر يقظة في الصلاة، بحيث نستطيع أن ننتصر على كلّ أعمال الشيطان التي تصادفنا. ولكن كلا الصوم والصلاة يمكن أن يصبح موضع افتخار. هذا أظهره لنا مَثَلُ الفرّيسي والعشّار الذي قرأناه في بداية زمن التريودي. وهنا تبرز أهميّة المشهد الأوّل في القراءة الإنجيليّة الذي ركّز على الإيمان. فالصوم والصلاة الحقيقيان هما اللذان يتجذّران في إيمانٍ عميق غير مهتزّ.هذه القراءة الإنجيلية تظّهر، اذًا، أنّ مسيرة الصوم الكبير ليست مجرّد انقطاعٍ عن الطعام، ولا هي إقبال شكليٌّ على الصلاة. هدف الصوم، في التحليل الأخير، هو أن يوقظ فينا الإيمان الذي ينتظره الله منّا، هذا الإيمان الذي أُعطيناه في معموديّتنا، ونحن غالبًا ما نميل إلى نسيانه فنسلك في حياتنا كغير مؤمنين. ولكن النص الإنجيلي لا يتوقّف عند ما قاله يسوع عن الصوم والصلاة، بل يُختم بإعلان يسوع لتلاميذه عن موته وقيامته: «إنّ ابن الإنسان يسلم إلى أيدي الناس فيقتلونه وبعد أن يقتل يقوم في اليوم الثالث» (٩:٣١).

في الأحد الماضي، الثالث من الصوم، وضعت الكنيسة نصب أعيننا

يا معلّمُ قد أتيتُك بابني بهِ روحٌ أبكم* وحيثُما أخذهُ يصرعُهُ فيُزبدُ ويصرِفُ بأسنانهِ وييْبس. وقد سألتُ تلاميذَك أنْ يُخرجوهُ فلم يقدروا* فأجابهُ قائلاً أيُّها الجيلُ غيرُ المؤمن إلى متى أكون عندكم حتَّى متى أحْتمِلُكم. هلمَّ بهِ إليَّ* فأتَوهُ بهِ. فلمَّا رآهُ للوقت صرَعَهُ الروحُ فسقطَ على الأرض يَتَمرَّغ ويُزبدُ*فسأل أباهُ منذ كم من الزمان أصابهُ هذا* فقال منذ صباهُ، وكثيرًا ما ألقاهُ في النارِ وفي المياه ليُهلِكَهُ. لكنْ إن اسْتطعتَ شيئًا فتحنَّنْ علينا وأغِثْنا* فقال لهُ يسوعُ إن استطعتَ أنْ تؤمِنَ فكلُّ شيءٍ مُسْتطاعٌ للمؤمن* فصاحَ أبو الصبيِّ مِنْ ساعَتهِ بدموع وقال إنّي أُؤمِنُ يا سيّد. فأغِثْ عدم إيماني* فلمَّا رأى يسوعُ أنَّ الجمعَ يتبادرون إليهِ انتهرَ الروحَ النجسَ قائلاً لهُ أيُّها الروحُ الأبكمُ الأصمُّ أنا آمرك أن اخْرُجْ منهُ ولا تعُدْ تدخلُ فيهِ* فصرخَ وخبطَهُ كثيرًا وخرجَ منهُ فصار كالميتِ حتَّى قال كثيرون إنَّهُ قد مات* فأخذَ يسوعُ بيدهِ وأنهضهُ فقام* ولمَّا دخلَ بيتًا سألهُ تلاميذُهُ على انفرادٍ لماذا لم نستَطِع نحن أنْ نُخرِجَهُ* فقالَ لهم إنَّ هذا الجنسَ لا يمكن أنْ يَخْرُجَ بشيءٍ إلاَّ بالصلاة والصوم* ولمَّا خرجوا من هناك اجتازوا

في الجليل ولم يُرِد أنْ يَدْرِيَ أَحدٌ* فإنَّهُ كانَ يعلِّمُ تلاميذهُ ويقول لهم إنَّ ابنَ البشرِ يُسلَمُ إلى أيدي الناس فيقتلونَهُ وبعد أنْ يُقتَلَ يقومُ في اليوم الثالث.

تأمل

من الأعماق صرخت إليك يا رب يا رب فاستمع صوتي (مز١٢٩:١). ما معنى الأعماق؟ أي ليس من الشفاه أو اللسان يتدفق الكلام، والعقل بعيد عنه، بل من أعماق القلب، وبحرارة عظيمة من صميم النفس. هكذا النفوس الحزينة تهتز كلها ومن كل القلب تصرخ إلى الله بانسحاق عظيم، لذلك يستمع لها. ان الصلوات التي تكون هكذا لها قوة عظيمة لا تتفرق ولا تهتز، ولو هاجمها الشيطان بجسارة قوية. ان الشجرة التي مدت جذورها القوية في جوف الأرض تثبت أمام الرياح والعواصف. هكذا تماماً الصلوات الخارجة من أعماق النفس تبقى قوية ثابتة لا تهتز ولو هاجمتها الأفكار العديدة والشياطين كلها. وبالعكس فإن الصلوات التي تخرج من الفم لا تصل إلى الله لعدم اهتمام المصلّي ولأنه يتحرك لأدنى صوت ويبتعد عن الصلاة، ويخرج الصوت من الشفتين والقلب فارغ، والعقل مشغول.

صورة الصليب لكونه محرّك صومنا وهدفه في آن. وها هي في الأحد الرابع تذكرنا، من جديد، بخاتمة مسيرتنا الصيامية ومبرّرها، أي موت السيّد وقيامته اللذين سنستحضرهما في الأسبوع العظيم المقدّس.إنّ كلّ مسيرة الصيام تصبح من دون معنى ما لم نتذكّر دومًا أنّها حالة انتظار وترقّب للختن، للعروس الذي نعيد اكتشاف مجيئه إلينا على نحو كثيف في موته وقيامته: «ها هوذا الختن يأتي في نصف الليل».

رسالة الرسول بولس الثانية إلى أهل كورنثوس

+ مكان كتابة الرسالة وزمانه:

بعد كتابة الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس توجّه الرسول بولس إلى مدينة كورنثوس، وكانت زيارته الثانية لها. هناك واجه مشكلة مع أحد أعضاء الكنيسة ولاقى معاملة سيّئة من جماعة كورنثوس، ما أدى به إلى العودة خائبًا إلى أفسس. من هناك كتب رسالة إلى الكورنثيين عُرفت «برسالة الدموع» (٢كور ٢:٤)، بعثها مع تيطس. بعد ذلك ذهب في رحلة إلى آسيا الصغرى، وكانت هذه الرحلة محفوفة بالمخاطر. ثمّ سافر من طروادة إلى مقدونيا، حيث التقى تلميذه تيطس الذي نقل له الأخبار السارّة بأنّ الأمور عادت إلى مجراها في كورنثوس.

من مقدونيا كتب الرسالة المسمّاة الثانية إلى أهل كورنثوس، في نهاية خريف سنة ٥٥.

+ خلفية الرسالة:

في القسم الأكبر من رسالته يدافع الرسول عن رسوليّته وعن سلطته التي أُعطيت له من الله كرسول، وذلك بسبب جماعة دخلت إلى كنيسة كورنثوس وبثّت أفكارًا تشكّك بكفاءة بولس كرسول، وقد سمّاهم بولس بالرسل الكذبة (١١:١٣). وربّما كانت هذه الجماعة المعارضة له من المسيحيين الإرساليين المتجوّلين، لهم جذور هلّينيّة – يهوديّة، وقد اتّهموا بولس الرسول بأنّ حيازته للروح القدس ناقصة، كما أنّهم سعوا إلى تنصيب أنفسهم بدلاً منه رسلاً شرعيّين حاملين للروح بسبب مواهبهم الروحيّة وقدرتهم على صنع العجائب.

+ تعليم الرسالة:

إن الموضوع الأساسي المُثار في الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس هو شرعيّة رسوليّة الرسول بولس وصفاتها الأساسيّة.

+ يدافع الرسول عن نفسه في أوّل رسالته ضدّ التهم الموجّهة إليه من أهل كورنثوس (١:١٢–٢:١)، بعد ذلك يستفيض في وصف صفات الرسوليّة في ٢ كور ٢:١٤–٧:٤.

+ هذه الخدمة الرسوليّة التي يقوم بها بولس الرسول تحوي في الوقت نفسه مجدًا (٣:٧–٤:٦) وألمًا (٤:٧–٥:١٠)، وذلك على مثال الربّ يسوع المسيح الذي مرّ من الألم إلى المجد.

+ وعى الرسول بولس نفسه خادمًا مُقامًا من الله للعهد الجديد (٣:٦؛ راجع أرميا ٣١:٣١–٣٤)، هذا يعني أنّه ليس بحاجة لرسائل توصية من أحد ليقوم بخدمته، لأنّه كما أن ذلك العهد مكتوب على القلوب، هكذا فإنّ أهل كورنثوس هم «رسالة المسيح مخدومة منّا، مكتوبة لا بحبر بل بروح الله الحيّ، لا في ألواح حجريّة بل في ألواح قلبٍ لحميّة» (٣:٣). وهذه الخدمة هي في مجد (٣:٨–٩)، وهذا المجد هو من الربّ يسوع نفسه (٣:١٧–١٨).

+ يدرك الرسول أنّه مرتبط بالمسيح في الألم وفي المجد على حدّ سواء، كما أنّ قوّة المسيح هي التي تعمل

فيه ليستطيع أن يتخطى المشاكل الخارجيّة التي يواجهها (٤:٧-١٢؛ ٦: ٤-١٠؛ ١١: ٢٣-٢٩).

+ كرسول مدعوّ من الله للخدمة (٣:٥-٦) يعلن بولس الرسول رسالة المصالحة (١١:٥-٢١)، المصالحة مع الله. خدمة الرسول هي جزء من هذه المصالحة التي أتّمها الله في المسيح يسوع (٥: ١٩-٢١)، الذي «مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام» (١٥:٥): «إذًا إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكلّ قد صار جديدًا. ولكن الكلّ من الله الذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح وأعطانا خدمة المصالحة، أي إنّ الله كان في المسيح مصالحًا العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم وواضعًا فينا كلمة المصالحة. إذًا نسعى كسفراء عن المسيح كأنّ الله يعظ بنا، نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله، لأنّه جعل الذي لم يعرف خطيئةً خطيئةً لأجلنا لنصير نحن برّ الله فيه» (١٧:٥-٢١).

+ هنالك علاقة وثيقة بين الرسول والكنيسة (١:٣-٤؛ ٢:١١؛ ٨:١٦؛ ٩: ١٢-١٣)، وهي عطيّة من الله (٩: ١٥). فالرسول يعيش لأجل الكنيسة (١٣:٥؛ ٢٨:١١-٢٩)، التي يريد أن يقدّمها للمسيح «عذراء عفيفة» (١١: ٢) في المجيء الثاني.

+ الرسول لا يبشّر بنفسه بل بالمسيح (٥:٤)، وافتخاره ليس بالمواهب التي يغدقها الله عليه، إنما افتخاره هو بالرب (١٧:١٠) الذي تظهر قوّته في ضعف الرسول (٩:١٢): «ولكن لنا هذا الكنز في أوان خزفيّة ليكون فضل القوة لله لا منا» (٧:٤).

+ هدف الرسول في جهاده مع الكنيسة ومن أجلها هو هدف أخرويّ (١:١٤)، لأنّه يسعى إلى أن يقدّم للمسيح كنيسة، جماعة طاهرة، بدون خطيئة (٢:١١)، فإنّ الرب سيسأله يوم الدينونة عن عمله، أي الكنيسة، وسيحاسبه على أساس نجاحه أو فشله في إنشاء كنيسة للمسيح (١٠:٥).

أمسية مرتلة

تدعو مدرسة الموسيقى الكنسيّة في الأبرشيّة المؤمنين لحضور الأمسيّة المرتّلة التي ستقيمها جوقتا المدرسة (جوقة الشباب وجوقة الفتيات) في كنيسة النبي الياس في محلّة المصيطبة، مساء الأحد ٢١ نيسان، الساعة السابعة، ستُرتّل خلالها الجوقتان تراتيل من التريودي (فترة الصوم الكبير) ومن الأسبوع العظيم.

من أقوال الآباء

ما دامت أيامنا معدودة فلنَسْعَ بهمة ونشاط كمن دعاهم إلههم وملكهم لئلا نوجد بلا ثمر يوم الوفاة، فنهلك جوعًا. ولنرضِ الرب كما يرضي الجند الملك لأننا سنُطالَب بدقة ما دمنا قد انخرطنا في خدمته. ولنخشَ الرب كما نخشى الوحوش، لأني رأيت أناسًا ذاهبين ليسرقوا وهم لا يخافون الله، ولكنهم إذ سمعوا في المحلة صوت كلاب رجعوا أدراجهم في الحين، فما لم يصنعه خوف الله صنعه خوف الوحوش. ولنحب ربنا كما نجلّ أصدقاءنا، لأني كثيرًا ما شاهدت أناسًا قد أساؤوا إلى الله ولم يبالوا بذلك البتة، ثم رأيتهم هم أنفسهم قد أسخطوا أخلاءهم لسبب تافه فسعوا لتلافي الأمر بكل وسيلة وحيلة وندم واعتذار، مباشرة أو عن طريق الأصدقاء، غير ضانين بالهدايا لكيما يستعيدوا حبهم الأول.

القديس يوحنا السلّمي

ان البخور زكي بطبيعته ولكن رائحته تنتشر أكثر حينما يُطرح في النار، وهكذا الصلاة فإنها حسنة بحد ذاتها ولكنها تكون أفضل وأزكى متى صدرت عن نفس محتدمة إذ تصبح النفس كالمبخرة التي يوضع فيها البخور بعد احتدام النار.هكذا أنت أيضًا افعل بنفسك، أوجد فيها الحرارة أولاً ثم ابتدئ بالصلاة. النبي داود طلب أن تستقيم صلاته كالبخور وأن يكون ارتفاع يديه ذبيحة مسائية. وهذا يكون حسنًا في عينيه عندما يكون اللسان واليدان طاهرين نقيين وبعيدين عن النميمة والطمع والسلب. وكما انه لا يوضع في المبخرة شيء سوى النار والبخور، هكذا الشفتان لا يجوز أن تتفوّها بكلمة رديئة بل بالكلام المفعم بالقداسة والمديح. إذًا لتكن اليدان كالمبخرة بتطهيرهما بالإحسان، ومحبة الإنسانية ومساعدة المحتاجين، وبعد ذلك ارفعهما للصلاة. وإذا كنت تأبى على نفسك الوقوف في الصلاة بيدين قذرتين فالأجدر بك ألا تلطخهما بالخطايا، وما دمت تخشى الأشياء الطفيفة فالأفضل أن تتجنب الكبيرة.

القديس يوحنا الذهبي الفم